أهتم بملابسك
(أفسس ٤:١٧-٢٤)

تنشر مجلة «بيبول ويكلي» الأمريكية في كل عام قائمة باسماء المشاهير مختارين كأفضل وأسوأ مرتدي الملابس. يقرأ الذين يهتمون بالزيّ السائد هذه القائمة ليروا من الذي يلبس حسب الموضة ومن لا يلبس حسب الموضة.

هل تعلم ان الله يهتم بمظهرك؟ نعم، هو يهتم. إن كنت تلبس بنطلون جديد أم لا، أو تملك نوع مشهور من الأحذية، هذا لا يهمه. هو يبحث عن نوع مختلف من الملابس - الملبس الروحي الذي يرتديه كل واحد منا.

وضح بولس هذا الملبس. وصف ما يجب علينا أن نتخلى عنه وما نحتاج أن نلبسه كمسيحيين:

> فأقول هذا وأشهد في الرب أن لا تسلكوا في ما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً ببطل ذهنهم، إذ هم مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله لسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم. الذين إذ هم قد فقدوا الحس، أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في الطمع. وأما أنتم، فلم تتعلموا المسيح هكذا، إن كنتم قد سمعتموه وعلمتم فيه كما هو حق في يسوع! أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتتجددوا بروح ذهنكم؛ وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق (أفسس ٤:١٧-٢٤).

فيما يلي حقيقة أساسية: يجب على المسيحيين أن يغلفوا انفسهم بطريقة الحياة الجديدة في المسيح.

ملابس قديمة

في الستينات من القرن العشرين، أصدر جوزيف فلتشر كتاب بعنوان «اخلاقيات ظرفية». أنكر في هذا الكتاب وجود السلوك الاخلاقي المطلق. أبقى فلتشر على أن ذلك الحق ليس حقاً دائماً، والخطأ ليس خطأ دائماً. اقترح بان السلوك الاخلاقي يتوقف على الأوضاع: قد يكون الفعل صحيح في يوم ما وخطأ في اليوم التالي.

الآن، وبعد أقل من ثلاثين سنة من اصدار ذلك الكتاب، يبدو أن الاخلاقيات الظرفية تسود على المجتمع {في العالم الغربي على الأقل}. قبل جيل فقط، كان الناس يتمسكون بتصديق السلوك الاخلاقي على انه مطلق: تسأل قليلون عما إذا كان البقاء عذراء حتى الزواج شيء صحيح؛ وعما إذا كان عمل يوم مخلص يستحق يوم إجرة مخلصة؛ وعما إذا كان مضاجعة جنس مماثل هي طريقة حياة فاسدة؛ وعما إذا كان غير صحيح أبداً أن تكذب أو تسرق أو تتأمل في صور الإباحة أو ترتكب الزنا. لا يؤكد المجتمع صحة أية من وجهات النظر هذه فيما بعد. الكلمات التي كتبها بولس تبدو وكأنه كان يكتب مباشرة للمسيحيين في مجتمعنا اليوم؛ إذ قال: «فأقول هذا وأشهد في الرب أن لا تسلكوا في ما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً ببطل ذهنهم.» (أفسس ٤:١٧).

كيف يسلك «سائر الأمم»؟ صور بولس هذا كنوع من السيرة نحو الموت، كل خطوة فيها تقترب من الهلاك الأبدي.

الخطوة الأولى هي المعاندة - الذين يرفضون بإزدراء حياة التقوى هم «مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله لسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم» (أفسس ٤:١٨). يمكن للقلوب أن تغلظ أو تتحجر. الكلمة «غلاظة» المستخدمة في الآية ١٨ يمكن استخدامها لتدل على المادة التي تتكون عند

التئام العظام المكسورة. هذه المادة المتكونة عند التئام العظام، تتصلب وتكون أكثف من العظم نفسه. للخطيئة هذا التأثير التدريجي نفسه من الغلاظة على قلب الشخص.

ما دمنا نقول: «نعم» للخطيئة، فانها ستعمل كالظمأ الذي لا يروى. أقول لك أن يسوع هو وحده الذي يمكن أن يحررنا ويلطف قلوبنا مرة أخرى.

الخطوة الثانية: ظلام. الذين يرفضون بازدراء حياة التقوى هم «مظلمو الفكر...» (أفسس ٤:١٨). اني أكره التعثر في الظلام، ألست كذلك؟ تحسس الطريق في الظلام قد يلحق الأذى بالشخص. ذلك ما تفعله لنا الخطيئة. انها تجعل الحياة مظلمة. وفي الظلام، يعجز الشخص عن رؤية الطريق. على سبيل المثال، انها تجعل متعاطي المخدرات يخاطر بحياته من أجل «الاستمتاع» الوقتي الموجود في الكوكايين. مظلم الفكر هو وحده الذي يخاطر بكل شيء من أجل الإثارة التي تدوم للحظة فقط. تمنعنا الخطيئة عن تعديل تفكيرنا.

الخطوة الثالثة هي إدانة. تفصل الخطيئة الإنسان «عن حياة الله» (أفسس ٤:١٨). تفصلنا الخطيئة عن الله – وهذا شكل من أشكال الدينونة – ونفقد القدرة على التفكير السليم. كما تقول إحدى الترجمات: «تجنبوا المعاملة مع الله لوقت طويل حتى فقدوا الاتصال ليس مع الله فحسب، بل أيضاً مع الحقيقة نفسها. لا يستطيعوا التفكير بالإستقامة فيما بعد». الكحول، والقمار، والإباحية، والمخدرات، والتهور الجنسي، كل هذه لها التأثر نفسه.

الخطوة الرابعة في مسيرة الموت هذه، هي الاهمال. قال بولس بما يختص الذين لا يعيشون حياة التقوى: «الذين إذ هم قد فقدوا الحس، أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة في طمع» (أفسس ٤:١٩). عندما أقرأ ذلك، أتذكر في نفسي قابلية كل واحد منا أن يكون فاسق ونجس. لا يوجد ولا واحد منا وراء نطاق تطوير شهوة لا تشبع لشيء ونفقد السيطرة على حياتنا.

كان لليونانيين القدماء قصة عن ولد اسبارطي عظيم الشجاعة الذي سرق ثعلباً ثم واجه صاحب الثعلب. ولكي يخفي ما فعله، أخفى الولد الثعلب تحت ملابسه ووقف صامتاً؛ لم ينظر بدهشة أو يطرف عينيه عندما كان الثعلب يخدشه ويمزق أعضاءه الأساسية. إلى حد الموت المؤلم، لم يعترف الولد بانه كان قد ارتكب خطأ (مقتبس من جون مكاثر).

ستفعل الخطيئة ذلك. انها تصيد الناس حتى يحتملوا كل أنواع الآلام عوضاً عن الأعتراف بان «طريقة حياتهم» هي بالحقيقة طريق الموت.

ملابس جديدة

تدفعنا الخطيئة إلى السير نحو الموت، ولكن يسوع يستطيع أن يغير اتجاه مسيرتنا. بما يختص بالحياة القديمة، قال بولس: «وأما أنتم، فلم تتعلموا المسيح هكذا» (أفسس ٤:٢٠). معرفته تجعلنا نتغير في طريقة معيشتنا.

قد نشابه الوجود في المسيح بالذهاب إلى المدرسة. قد ذهبنا إلى المدرسة في المسيح لنتعلم ما نتخلى عنه وما نلبسه. المسيح هو منهج الدراسة والمعلم وحُجرة الدراسة لحياتنا. نحن نعرف المسيح (أفسس ٤:٢٠). المسيح نفسه هو منهج دراستنا. درسناه لنعرف كيف نعيش. قد سمعنا المسيح أيضاً (أفسس ٤:٢١). بعبارة أخرى، المسيح هو معلمنا. قد تعلمنا فيه (أفسس ٤:٢١). المسيح هو حجرة دراستنا. فيه لدينا ما نحتاج إليه لنجعل سلوكنا الاخلاقي مستقيماً.

قارن بولس التحول إلى اتباع المسيح بتغيير ملابسنا. إذ كتب: «...أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور» (أفسس ٤:٢٢). الوجود في المسيح مثل خلع الملابس القديمة القذرة لتوضع في كيس ويحكم عليها الإغلاق، ثم تقذف حتى لا تُلبس مرة أخرى. في المسيح، نفعل ذلك بالحياة القديمة.

ثم أضاف بولس: «...وتتجددوا بروح ذهنكم» (أفسس ٤:٢٣). الكلمة «تجددوا» تعني أن نكون

صغار وناشئين إلى الأبد، وطاهرين إلى الأبد.

الآية ٢٤ تأخذ خطوة إضافية أخرى: قد علمونا أن نلبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق. أي بعبارة أخرى، يسوع يدعونا لنلبس حياة المسيح الجديدة.

الخلاصة

ما الخطوة التي قد نتخذها لتساعدنا في لبس حياة المسيح الجديدة؟

أصنع قراراً. أنت تواجه كل يوم خيارات في السلوك الاخلاقي. ما تقرره في كل لحظة يؤثر بدرجة كبيرة على القرار الذي قد اتخذته سلفاً عن نوع الإنسان الذي تريد أن تكون. قرر بانك تريد أن تكون مثل المسيح.

أبدأ اليوم بقرار صحيح. أبدأ كل يوم بصلاة لله. خذ لحظات قليلة لتقرأ من كلمة الله وقرر اسلوب اليوم.

ضع خطاً ولا تتجاوزه. يريد معظم المسيحيون أن يكونوا أقوياء. والمشكلة هي أنه توجدلدينا جميعاً ضعفات. نريد أن نعلم ما هي ضعفاتنا، ضع خطاً يفصلنا عنها ولا تتجاوز ذلك الخط. ما هو نطاق الصراع الدائم في حياتك؟ ما هي الخطايا التي تجد نفسك ترتكبها بتكرار؟ ما هي أفضل «طُعم» يستخدمه الابليس ليجلب انتباهك؟ تعلم أن تضع خطاً ولا تتجاوزه.

أحرس قلبك. لا يمكنك أن تخدم سيدين. إن كنت تريد ليسوع أن يكون سيدك، لا بد أن تضع حداً لبعض الأفكار والنشاطات في حياتك.

أحرس فكرك. ما تفكر به سيقرر في آخر المطاف نتيجة الصراع.

أحرس عينيك. في الأصحاح ٣٩ من سفر التكوين، أظهر يوسف بانه لا يمكن لشخص أن «يلعب بالنار دون أن يحترق.» تناسى الملك داود عن حقيقة، لم يحرس عينيه. المقطع الذي يقول: «أحترس أيتها العينان الصغيرتان من ما ترياه» هو أكثر من سطر في ترنيمة الأطفال.

أحرس كل جزء في حياتك. أية فكرة أو فعل الذي تعلم بانه قد لا يكون جيد بالنسبة إليك، هو كافي ليضرر بحياتك الروحية. تجنب تبرير الأفكار بعبارات مثل: «لا استطيع تحمله» أو «انه غير سيء إلى ذلك الحد» أو «الكتاب المقدس لا يوضح هذا بتحديد.» أحرس حتى أبسط الأفكار والأفعال.

الله يهتم بملبسك الروحي. عندما تفكر في ملبسك الروحي، قَيِّمَ نفسك على العبارات التالية مستخدماً قياس من ١ إلى ١٠ أن تكون ١ «غير متفق أبداً» و ١٠ «متفق تماماً.»

_____ «قد لبست الإنسان الجديد في المسيح.»

_____ «أني لا أسلك كما يسلك الجموع {سائر الأمم.}»

_____ «اني مسيطر على أفكاري.»

_____ «لا أسمح لعينيّ أن ترى ما لا ينبغي لهما رؤيته.»

_____ «المسيح راضي بطهارتي.»

_____ «أني أعلم أين الخط الذي وضعته وسوف لا أتجاوزه.»

_____ «أني حريص على ما اختاره للتسلية.»

بعد أن تكمل هذا الاختبار الذاتي، امضي في صلاة إلى الرب. قم بكل ما تحتاج إليه من الاعتراف. أطلب قدرته لتلبس المسيح.